موسم الزيتون في التراث الشعبي الفلسطيني

(لمحة تاريخية عن شجرة الزيتون)

ان تاريخ شجرة الزيتون يتوه في بطون التاريخ الى اقدم عصوره ويختلف العلماء في مواطنها . فمنهم من يقول انه ارمينيا او آسيا الصغرى ومنهم من يقول انه سوريا ولكن اغلبهم يتفقون على انه الشرق الادنى ومنه انتقلت الى جنوب اوروبا وشمال افريقيا وشرق آسيا . والظاهر ان اعتماد اصحاب الرأي الاول أي الذين يقولون ان موطنها ارمينيا وآسيا الصغرى مبني على ما جاء في الكتاب المقدس وهو ان نوحاً عندما رست سفينته على جبل آراراط وأطلق الحمامة التي عادت اليه بغصن زيتون اخضر ، في فمها (سفر التكوين ٨ — ١٠ (١) غير ان هذا لا يثبت ان موطنها هناك ، ولكن الاشارة الى ذكرها من عهد نوح دليل على شدة قدمها فلم يسبقها في الذكر المدون من الاشجار المثمرة الا شجرة التين وذلك في قصة آدم وحواء عليهما السلام وهما لا يزالان في الجنة . والارجح ان شجرة الزيتون نشأت في هذه الديار (سوريا وفلسطين) ذات المناخ الانسب من مناخ آراراط .

وفي الازمنة الغابرة عرف الاغريق زراعة الزيتون . وكان زيت الزيتون يقوم في حياتهم مقام الزبد والصابون والغاز حيث كان يستعمل للطهو والغسيل والانارة فضلا عن استعماله كمرهم عطري مستحب في المناخ الجاف (٢)

لقد كان اساس الوجبة اليونانية يتألف من الخبز والزيتون وكان الزيت يستعمل في كل طعام تقريباً وكان اليونانيون يدلكون اجسامهم بالزيت بدلا من الصابون حيث لم يعرفوا صناعته وكانت وسيلة الاضاءة الوحيدة عندهم هي مسارج الزيت .

وكان الزيتون يعصر في معاصر خاصة فكانت المعصرة الاولى ينتج منها زيت الطعام ومن الثانية زيت الاستحمام ومن الثالثة

(١) شجرة الزيتون — علي نصوح الطاهر ص ١ .

(٢) التاريخ اليوناني — د . عبد اللطيف احمد علي ص ٣٩ — دار النهضة بيروت ١٩٧٠ .

زيت الاضاءة وما يبقى بعد ذلك من قشر فيستعمل كوقود وفي الاساطير اليونانية ان الربة أثينة هي التي ادخلت شجرة الزيتون في اقليم اتيكا في وقت لم تكن قد نبتت بعد في اي جهة اخرى من بلاد اليونان ، غير ان اكتشاف معاصر الزيت في قصر مينوي بمدينة كنوسوس الكريتية يرجح ان الزيتون اصيل في بلاد اليونان وان اكليل الزيتون البري كان هو الجائزة اليونانية المفضلة منذ الدورة الاولمبية الاولى .

وثمة حقيقة هامة تتصل بالزيتون فهو لا ينضج الا بعد مدة طويلة من غرس اشجاره التي لا تعطي محصولا كاملا الا بعد ستة عشر عاما او ثمانية عشر عاما وقد لا تعطي اجود محصول الا بعد اربعين أو ستين سنة ولهذا اصبح غصن الزيتون رمزا للسلام لأنه يحتاج الى فترة سلام طويلة تحت ظل حكومة قوية تكفل الأمن لكي تتاح الفرصة لاشجار الزيتون لكي تنمو وتنضج .

لهذا كان الزيتون نعمة اسبغتها الطبيعة على اتيكا ولكنه كان نقمة عليها في بعض الاحيان ذلك ان اتلاف مزرعة من مزارع الزيتون لا يعني كما يحدث في حالة حقل من القمح ضياع سنة واحدة بل ضياع رأس المال كله . ولهذا اصيبت اتيكا باضرار فادحة بسبب التخريب الذي احدثه الفرس بأراضيها في الحروب الميدية ٤٩٠ — ٤٦٧ ق . م . والاسبرطيون في الحروب البلوبونيزية ٤٣١ ٤٠٤ ق . م .

ولا يوجد معلومات وافية عن شجرة الزيتون عند الامم القديمة التي سكنت فلسطين كالحثيين واليبوسيين والأموريين ولكن يفهم مما ورد في التوراة ان شجرة الزيتون كانت كثيرة الانتشار في هذه البلاد فأطلق عليها (أرض الزيتون والزيت) ويدل على هذا ان صناعة استخراج الزيت كانت معروفة قبل موسى عليه السلام بين شعوب هذه البلاد الذين لابد ان يكونوا قد اكتسبوا على مر السنين خبرة عملية في كل ما يتعلق بشجرة الزيتون وثمرها .

ولا تزال بعض القرى والاماكن في وقتنا الحاضر يدل اسمها على ما كانت تتمتع به من شهرة باستخراج الزيت من الزيتون منذ التاريخ القديم منها قرية (زيتا) من قرى نابلس وكذلك (زيتا) من قرى طولكرم و (زيتا) من قرى الخليل (وبير زيت) في لواء رام الله و (عين الزيتون) من قرى صفد و (وادي الزيتون) من اراضي نابلس و (سيلون) قرب ترمسعيا بين نابلس ورام الله ولا تزال بعض هذه الاماكن تشتهر بالزيت حتى وقتنا هذا مثل (بير زيت) و (زيتا) كما اشتهرت في التاريخ القديم قرية تقوع (في فلسطين حيث تقع الى الجنوب الشرقي من قرية ارطاس — بيت لحم .

ويعتبر جو فلسطين بأسره صالحا لازدهار شجرة الزيتون فيه بعلا اوسقيا ولذلك قل ان تجد منطقة من مناطقها لا ترى فيها اشجار الزيتون .

اما بالنسبة لاثر المطر على الزيتون فان امطار آذار بصفة خاصة لها دورهام جدا في محصول الزيتون ذلك لأنها تساعد على عقد نواة الزيتون بصورة فعالة ، وتعتبر أمطار آذار اذا شفعت بسقوط امطار في نيسان بشير خير عام يشمل كل المحاصيل . اما بالنسبة لامطار الخريف فانها اذا سقطت مبكرة بكميات غزيرة فانها تعتبر مفيدة لمحصول السنه وكذلك لمحصول سنة قادمة.

وبالنسبة للبرد والحر : حيث يعتبر جو فلسطين من وجهة عامة معتدلا الا في المرتفعات كصفد – والقدس – ورام الله والخليل وغيرها فانه احيانا يكون ذا شتاء قارس تسقط خلاله الثلوج في تواريخ متباينة من السنة قد تشمل اواخر آذار ، ومهما اشتد برد هذه البلاد فانه لا يشكل خطرا على اشجار الزيتون بل على العكس من ذلك فان الاهلين يستبشرون من اشتداد البرد وسقوط الثلج ويعتبرونه مبشراً بموسم خصب ولذلك يقولون (القح الزيتون) واللقاح هنا بمعنى روي في هذه السنين لشدة فتك البرد بكثير من الحشرات (مثل ذبابة الزيتون) التي يقل ضررها في سني الثلج الغزير ولا يدوم البرد مدة طويلة في بلادنا بل سرعان ما ترتفع درجة الحرارة فيزول خطر البرد . أما بالنسبة للحرارة فقلما تشكل خطراً في فلسطين يحول دون تقدم زراعة الزيتون فيها وذلك لان شجرة الزيتون تتحمل درجة حرارة حتى فوق ٥٠ مئوي فوق الصفر اذا توفر الري أما خارج المناطق الغورية اي في الساحلية والمرتفعات فقلما تتعدى درجة الحرارة الاربعين صيفاً ولذلك تعتبر مناطق زيتونية ممتازة بشرط ان يتوفر سقوط الامطار.

الانواع الاساسية التي تتفرع منها شجرة الزيتون

١ – شجرة الزيتون الجوية .

٢ – الزيتون البري .

اما انواع الزيتون في فلسطين كثيرة ويستعمل قسم منها لاستخراج الزيت وقسم منها للكبس وهي : –

١ – الصوري ويستخرج منه الزيت .

٢ – النبالي ويستعمل للزيت ومنه الانواع التالية وهو اكثر الانواع انتشارا :

النبالي المحسن ، نبالي جميع نبالي برقين

٣ – المليص او الصري وهو من الانواع الزيتية

٤ – التلياني ويستعمل للكبس وهو قليل الانتشار

٥ – الشامي ومنه شامي دير الغصون ، شامي الرامة ، شامي قباعة (قرية من اعمال صفد) ، شامي جبع وكلها انواع للكبس (١)

(١) شجرة الزيتون – على نصوح الطاهر ص ٢٢ .

٦ – الذكاري الكبير ويسمى ذكار لانه قليل الحمل فيسميه المزارعين ذكر (ويعتقدون انه يلقح الاشجار وهو قليل الانتشار ويستعمل للكبس) .

الانواع الاجنبية التي دخلت الى فلسطين ما يستعمل للكبس منها : السيفلانو – الجروساد اسبانية – الشايخلوت ريال – بلانكيت الباروني – سانت كاترين وغيرها .

ما يستعمل للزيت : تلماني – الشملالي التل – روسيت – روجيت – فرنتيو وغيرها .

الازهار (الابراز)

تبدأ حراثة شجرة الزيتون مرتين اوثلاثة اما على الدواب وبواسطة المحراث البلدي أو بواسطة التراكتور وتسمى الحراثة الاولى كسارة او كراب والثانية ثناية والثالثة تثليث.

وفي آذار تبدأ الشجرة بأول عملية في تكوين الحبة الابراز الاوهي عمليه التلسين حيث تكون الحبة في بداية تكوينها على شكل لسان ولا يعرف أهو برز أم رعان ثم تبدأ بعد مدة عملية ظهور البرز بوضوح ويعقبها التفتيح ثم العقد وعند العقد يطلب الفلاحين وعلى شكل دعاء من الله سبحانه وتعالى انه يبارك المحصول ويهيء له جوامناسبا فيقولون يا ربي ندى وسموم عند عقدك يا زيتون حيث ان الندى والحرارة يضمنان عقد طيب ومحصول جيد ويعتقدون ان الزيت يبدأ يتكون في الثمر في ايلول وبعد الصليب حيث يقولون (في ايلول بدور الزيت في الزيتون) وتستمر عملية النمو حتى ١٥ تشرين اول وأوائل تشرين ثاني حيث تبدأ بعدها عملية قطف الزيتون التي تعرف كذلك (الجداد) .

– زيت الطفاح – (الخراج) .

قبل عملية الجداد بشهر اوشهر ونصف تبدأ عملية الجول (١) وهي جمع ما يتساقط من حب الزيتون وعند تجميع كمية منه يدرس على البد (٢) او يدق بمدق قاسيه او بواسطة حجر يسمى درداس . وبعد الدراس يوضع الزيتون المدروس في سطل غسيل حديدي كبير ويوضع فوق الزيتون المدروس ماء ساخن يغلي وبعد ربع ساعة من تحريك الدريس مع الماء في السطل يقفز الزيت الى اعلى حيث تبدأ عملية رفع الزيت عن طريق وضع الكفين مجتمعين بجانب بعضهما البعض ويسمى هذا الزيت زيت اخراج او اطفاح

(١) الجول : التقاط نفل الزيتون الناضج الذي يسقط بواسطة الهواء .

(٢) البد : المكان القديم لعصر الزيتون قبل ظهور الآلات الحديثة وساتعرض له في هذا البحث بشكل مفصل .

عملية قطف الزيتون (الجداد)

يقطف الزيتون في فلسطين بطريقة الجد (بالعبية) (١) والطوالة (٢) والشاروط (٣) حيث يستعمل للشجر العالي . وهناك نظام متبع في بعض المناطق وهو نظام الطلقات ويعني : تقسيم مناطق الزيتون في القرية الى اقسام حيث يسمح لأهالي القرية بقطف الزيتون من مناطق محددة فقط دون ان يسمح لهم بقطف الزيتون من مناطق اخرى الا في مواعيد الطلقة المعينه لها . وهذا نظام تعاوني اذ من الدارج ان يقوم من ليس لهم اشجار زيتون في منطقة الطلقة بمعاونة الآخرين وهذا عرفياً نوع من المقارضه حيث يستغني الفلاح عن تأجير عمال لقطف زيتونه كما ان الفلاح يكون آمناً على زيتونه في طلقات اخرى من اللصوص اذ يعين اهل القرية نواطير لحماية هذه المناطق منهم او من يخرق قانون الطلقة .

ـ الخراطه : وتعني عدم استعمال العصى في القطف بل الايدي فقط وتستعمل في هذه الطريقهالسيبة (٤) والسلم وذلك لكي يستطيع الجداد ان يصل الى اعلى فرع في الشجرة . وهذه هي الطريقه المستعمله حاليا نتيجة التقدم العلمي والتجربه عند الفلاحين ذلك لان استعمال العصى يكسر الاغصان الصغيرة التي تحمل الثمر في العام القادم . ويقوم بجمع حب الزيتون المتساقط عن طريق الجد بالعصى النساء وتسمى « اللقوطات » حيث يجمعنه في الملقط والقرطله اوالسل (٥) وعند امتلائها تفرغ في كيس كبير مصنوع من الخيش يسمى (ابو خط أحمر) وعندما يمتلأ الكيس ينقل الى الدار على ظهور الحمير والبغال والجمال

زيت البدوده

وفي ايام الجداد كان الجدادون وعندما يحتاجون الى الزيت يعملون زيت البدوده حيث كان يختار من الزيتون الاسود كبير الحجم حيث يوضع هذا الزيتون في نار وبعد شوية في النار يوضع في سل ويوضع فوقه حجارة ثقيلة لكبسه وربصه وبواسطه هذه العمليه يخرج الزيت الى قناة توصل الى حفرة في الصخر (مقر) تكون قد اعدت أو اختيرت لهذا الغرض . وزيت البدوده لذيذ الطعم وطعمه كطعم السمنه البلدية وسبب الطعم

---

(١) العبيه : عصا طويلة يبلغ طوله من واحد وانصف لى مترين (٢) الطوالة : يزيد طولها قليلا عن العبيه . (٣) الشاروط : عصا طويله يبلغ طوله من ٤ ـ٥ م . (٤) السيبه : كالسلم ولكن لها رجل ثالثه من الخلف (٥) الملقط والقرطله والسل : تصنع من اغصان الزيتون التي تتواجد على جذع الشجر واصغرها الملقط واكبرها السل .

اللذيذ هو الحرق في النار وقد كانت هذه الطريقة شائعة قديماً اما اليوم فتكاد تكون نادرة جداً .

وموسم الزيتون موسم مبارك عند الفلاح حيث يعتمد كثير من القرويين على الزيت في حياتـه اعتماداً كلياً ولهذا عبرالفلاح عن فرحه بهـذا الموسم بأهازيج وقصائد حيث يقول الجدادون مع اللقوطات أثناء جـد شجرة الزيتون وتساقط الحب :

يا زيتونه بو (١) مُري
هريلي بلح هـري
يازيتونه بو عرموش .
هريلي ذهب وقروش

كذلك لم يفت على الفلاح ان يتفاخر بزيتونته ويحبها حيث يقول :

زيتونتي يا حبها بلح بلح
لو يدري بهـا القاضي سرح
زيتونتي يا حبها جرجير (٢)
بخص (٣) لويدري بها الخنزير

هذا ولم يفت عن بال الجدادين أن يقولوا ما يرفع هممهم ومعنوياتهم ومعنويات اللقوطات للسرعة في العمل حيث يبدأ احـد الجدادين بالقول والاخرون يرددون ما يقول :

شمس غربت لاحت
مثل الخيل ولو لاحت
وام الخيل ترد الخيل
وام الخيل ما ترتـد
الا بلجام وعدة

ويأتي دور اللقوطات (٤) في قول يسلين بـه انفسهم ولرفع همـة الجدادة :

صبايا يوبنيسات
حمام الروع بيات
ولا نجوز النذل
ولا بننعاه لو مات
ولا بنفرش حصيرة
ولا بنرمي مخدات

وعندما يكون الموسم قليلا ويسمي شلتونه (٥) يعتب الفلاح على زيتونته وبعد الخدمه الجيده كقوله :

يا زيتون الحق عليك
واطلع زيتك من عينك

---

(١) بو : تعني أبو وهي لهجه دارجه في بني زيد / رام الله .

(٢) الجرجير : نفل الزيتون حيث يكون ناضج وطعمه لذيـذ .

(٣) بخص : خصوصاً .

(٤) اللقوطات : النسوة التي تجمع حب الزيتون

(٥) الشلتونه : اي محصول غير جيد .

كما ان النسوة يتوسلن للشمس الا
تغيب لكي يستطعن اتمام مهامهن في البيت :

يا شمس اقفيلي
تني اعجن عجيني
وقعدنـا الصغير
بكاغي في السرير
يا قماطة حرير
من عنـد الخليل

وتمدح الصبايا من اللقوطات انفسهن على شكل غناء ثم يبدأن بالحط من قيمة العجائز من اللقوطات لعدم مجاراتهن في العمل :

حطوا العجائز في بير
وارموا عليهن خنزير
وكان ما يقداهن
لطع البقر حناهن
وحطوا الصبايا في الدار
ورموا عليهن عطار
وكان ما يقداهن
حنا الشام حناهن

ويغني الناس والجدادون للزيتون فيقولون :

يا زيتون الحواري
صبح جدادك ساري
يا زيتون اقلب ليمون
اقلب مسفن بالطابون
بجدك بالجدادة
وبدرسك في البدادة (١)

ويقول الجدادة هـذا الحـداء متخيلين كيف انهـم سيبيعون زيتهم او مناداة الدائـن لاستداد دينـه

يا هذا هات ظروفك
ريت السعادة تحوفك
وتحوفنا وتحوفك

وينفرد الجدادة في هذا الحداء للتعبير عن مزاحهم في شكل تهكم على العجايز

يا غزيل يا غزال
لا تروح درب الشمال
بلاقوك الترجمان
يعملوا جلدك رباب
للشيوخ والشباب
كـل ما مرقت (٢) صبية
حرك الشب الرباب
وكل ما مرقت عجيز
دس رأسه في الجراب (٣)

(١) عن كتاب ترمسعيا دراسة في التراث – جمعية انعاش الاسرة
مسفن – خبز يعجن بالزيت ويرش عليه سكر
(٢) مرقت : مرت .

وهناك اهازيج يتسلى بها الجدادين أثناء العمل للتخفيف عـن كاهلهم من التعب :

ويش هالشويخ اللي أجانا
شق البحر وأجانا
شق البحر من شقه
جاب العلم من حقه
كن قال أنا بردان
واوقد تلـة النيران
لمـا ادفا وادفا
كن قال انا وهجان
واطلعته عـَ علية
شباكها غربية
لما هوى واتهوى
كن قال انـه جوعان
فجبتله اللبنية
فيها الكبب مدحية
لما شبع واتشبع
كن قال انا عطشان
فجبتله البقبيقه
ومغز غزة بريحان
لما روى واتروى
كن قال بدي اجوز
فجبتله الفلاحـة
بقرونهـا ملتاحة
كن قال ما تقداني
ولا تملي لي ذاني
ولا تعمر لي داري
ولا تربي ازغاري
فجبتله المدنية
يا شعورها ملوية
كن قال ما تقداني
ولا تملي لي ذاني
ولا تعمر لي داري
ولا تربي ازغاري
فجبتله الزطية
زفافة العرساني
كن قال ما تقداني
ولا تملي لي ذاني
ولا تعمر لي داري
ولا تربي ازغـاري
فجبتله النورية
دقاقة الوشاي
كن قال ما تقداني
ولا تملي لي ذاني
ولا تعمر لي داري
ولا تربي ازغاري

(٣) الجراب : شنته تعمل من جلد الماعز حيث يضع فيها الحداد أو الراعي خبزه
(٤ : شربة الماء المصنوعه من الفخار .

فجبتله العجيز

إمهرتمة لسنان

كن قال هذه تقداني

وهذي تملي لي ذاني

وهذه تعمر لي داري

وهذه تربي ازغاري

ولم ينسى الجدادون ذكر الاداة

التي يجدون بهـــا زيتونهم كالآتي :

ورحت على البلوط

وقطعتلو شاروط

ظليت اهوره واهوره

لمــا وقع طنطوره

لمــا خرى اللبنية

فيها الكبب مدحية

ورحت على البرية

وقطعتلو عبيـــة

ظليت اهوره واهوره

لمــا وقع طنطوره

لمــا خرى اللبنية

فيها الكبب مدحيــة

ومن اغاني الترفية عن الجدادين ما يلي :

يا عم قالت غاليـــة

ست الغوالي غالية

تهجم على جحش الصبر

الظهر وسط القالية (١)

آه وياه من ام وقاه (٢)

بحـط الغرض ما بلقاه

لقمتها متين رغيف

مع قنطار بصيصيله (٣)

ولم يفت عن بال الجدادان يتغزل بالبنات لأن موسم الزيت يذكر الجدادين بالزيجة والزواج لأن الزيت مصدر رزقهم فتراه يعطي رأيه ووصفه في كـــل سن للفتاة كالآتي :

ثلاث بنات يا خالي

أما الزغيرة تحلالي

تمشي حط وبشيل ونط

غزال فط من قبالي

أما الوسطى يا خالي

أما الوسطي تحلالي

تمشي هـــز بثوب القز

غزال فز من اقبالي

---

(١) القايلة : مكان القيلولة : والاستراحـــة .

(٢) وقاه : غطاء يضعنه الفلاحات على الرأس ويضعن الثريات منهـن الذهب في مقدمتها فوق الجبين .

(٣) بصيصلة : البصل حيث كان البصل يشكل غذاء رئيسياً للفلاح .

أمــا الكبيرة يا خالي

الكبيرة تحلالي

تمشي هل وخصري انحــل

غزال فل من اقبالي

وبعد الظهر وبعد التعب يبدأ الجدادون يقول يخففون بـــه من تعبهم حيث يبدأون اهازيج هزلية للتسلية كما يلي :

الحاجة راحت دار ابوها زايرة

طلعت على حيطانهم دراجه

وقفت على منقارها غميانه

يا دمها طيح سبع وديان

يا ريشها فراش للنعسان

مصرانها حبال للجمال

يا شحمها في لحمها قلوها

عزموا عليها الاهل والخلان

احلف لكم يا جماعة ما حكيت الزور

متين ليله طبخنا شقة العصفور

وعزمنا عليها حلب والشام واسطنبول

وكان ما بتصدقوا هي اللحم في قاعات الدور

وهناك تقاصيد تشترك فيها اللقوطات وذلك تبدأ احداهن بالقول وترد البقية عليها شطرة ثانيـة كالآتي :

يا بنياتي يا نعم ياما

بدي اجوزكن على مين يا ما على ها الفلاح

الفلاح ما نريده

يدخل ويخرج ومساس البقر في ايده

يا بنياتي يا نعم ياما بدي اجوزكن

على مين يا ما

على هـــا الراعي

الراعي ما نريده

يدخل ويخرج وعصاة الغنم في ايده

يا بنياتي يا نعم ياما

بدي اجوزكن على مين ياما

على ها الشفير الشفير ما نريده

يدخل ويخرج ومفتاح السيارة في ايده

يا بنياتي يا نعم يا ما

بدي اجوزكن على مين ياما

على ها الاستاذ

الاستاذ نريده

يدخل ويخرج والهدية في ايده

ولقد فضل الفلاح الزيتونة وجعلها احسن عروس حيث قال

زيتونتي (١) اطيب عروس

ما بتثمن بالفلوس

تحميني الفقر والبوس (٢)

ومن شر يوم عبوس

---

(١) عن كتاب شجرة الزيتون — على نصوح الطاهر ص ٢٠ .

(٢) البوس : الفقر .

ما احلاها وقت النوّار

والشجر بدون ازهـــار

ويذكر الحدادون على شكل مديح يذكرون به الله ونبيه الكريم لاعتقادهم أن هذا الزيتون أرزقهم اياه الله مـــع ذكر بعض الحيوانات التي ترتبط بالبرية : —

والنبي صلوا عليه

والف صلى الله عليه

وألف صلاة ع محمد

والبعير قبل اليه

والغزالي زارته

زارته واختارته

قالت جرني يا مختار

جرني من لهيب النار

روحي كن الله جارك

روحي رضعي صغارك

راحت تجري بالترتيب

وابزازها يهرين حليب

وارضعوا يا دا الولاد

وارضعوا من دا الحليب

من شفاعات الحبيب

والحبيب محمد

في الجنينة مخلد

يقول كذلك الحدادون على لسان اللقوطات عن حب البنات ووصف جمالهن :

قالت غنّيْ لما الغني

جمالي كماه صبي

وانت يا جمالنا

يا شيال حمالنا

ويش عبرك ع دارنا

عبرني حب البنات

البنات الغاويات

والعيون السود ذبـــل

والحواجب مقرنات

كما ويشترك الحدادة مع اللقوطات في هذا الغناء الغزلي مشفقين على الصبايا الجميلات الرقيقات عندما يحضرن الى كروم الزيتون لتلقيط حب الزيتون : —

صبايا منين إتمشين

ومن الزرقا يا للعين

ويجرين الجلالـــه (١)

على شوك البراري

يا ريت الشوك ما كان

ولا انخلق ولا بان

عمنه دقدق الزين

كن راح الزين حردان

بالله يا غلمان ترددوا

وردوا بعطيك الفدان

وتشدوا بأرض حوران

بيجي الفول قفول — قفول

والقمح ملوش عيار

---

(١) الجلالـــة : الثوب : .

وفي الهزل يقولون:

حدوة حدوة

مقلى بعجوة

ووكلة وحـــدي

وأظـــل احدي

عصر الزيتون : —

بعد جني المحصول تبدأ عملية عصر الزيتون وقد مرت عملية العصر على مراحل كمعلية العصر على البد قبل ما نشاهده الآن من المعاصر الحديثة التي تدور بواسطة الماتورات والقشط وبواسطة محركات كهربائية .

هناك طريقة قديمـــة جدا استعملت قبل استعمال البد في عصر الزيتون وتعمل كالآتي :—

كانت توضع خشبتان في الارض وتثبتان بواسطة صبة شيد ويكون اطرافهما مقدوحين وقطر القدح يقارب (١٠) سم وتوضع بينهما خشبه طويله مقدوح رأسها ينفد من الثلاث خشبات قضيب من من الخشب سمكه (١٠ سم) ويكون راس الخشبه من الجهـــة الاخرى وطوله يزيد عن (٤ م) وكانت توضع السلال المملوءة بالزيتون المشوي او المسلوق في الماء قريبه من الخشبتين الثابتتين وتحت الخشبة الكبيرة وهناك يضغط الرجال (البدادة) على رأس الخشبة المقابلة للخشبتين الثابتتين وبهذه الطريقة تكبس الخشبة على السلال فينزل الزيت في حفرة تكون قد خصصت لهذا الغرض

طريقة العصر في البد : — والبد طريقة قديمـــة وكان حجر البد يدار بواسطة الرجال حيث كانوا يربطون حبالا على بطونهم وتكون الحبال متصلة بخشبة البد التي تسمى الدوار ثم استعملوا البغال والخيل فيما بعـــد .

البـــد

والبد عبارة عن حجر كبير يسمى (القصعة) يدور فوقها حجر الدراس المدور وهو ثقيل جـــدا مثقوب من وسطه وتتصل به خشبة ضخمه وطويلة تخترق حجر الدراس عن طريق ثقب في وسطه وتسمى هذه الخشبة (الدوار) حيث تتصل كذلك بثقب خشبة تكون ملاصقة لحجر الدراس وتكون في وضع عمودي تسمى (خشبة البد) وتتصل من اعلاها بثقب في خشبة تكون ممدودة ومتصلة بالجدارين الذين يقعان باتجاهها الافقي ثم تخترق الخشبة الطويلة (الدوار) المتصلة بحجر الدراس وبالخشبة الملاصقة له ، ثقب خشبة صغيرة يبلغ طولها نصف متر وعرضها نصف متر كذلك تسمى

(الطبق) وعلى آخر هذه المجموعة يأتي مسمار من الخشب ضخم نوعا ما ووظيفته مسك جميع هذه المجموعة ويسمى مانع الطبق بقي ان نذكر ان الخشبة العمودية الملاصقة لحجر الدراس التي تتصل في اسفلها برأس حديد مبروم يدور في نقطة من حديد يدعى (الصوص) ذلك لأنه كلما دار البد يخرج صوت كالصوص ونقطة الحديد هذه ثابته في منتصف القصعه في حجربيرز عن القصعه في منتصفها ويسمى (بالقرميه) واما بالنسبة لعملية العصر بواسطة البد فهي كما يلي:

كانت عملية العصر في البد تتم بواسطة مكبس والمكبس الذي كان يستعمل في البد يختلف عن مكابس الوقت الحاضر فهو عبارة عن عمودين من الحديد يدخلان في قاعدة من حديد مجفنة (اي بها انخفاض) ليوضع فيها قفاف الدريس ويوضع في اعلى العمودين قطعةمن الحديد تكون الاعمدة بارزة منها وتسمى الطليفحة (ولا يقل وزنها عن طن) مقدوحة في منتصفها يدخل منها عمود من الحديد مسنن وهذا العمود يحمل في اسفله صينية حديدية سميكه وهي عبارة عن المكبس — ويرتفع هذا المكبس ويهبط بواسطة درس حديدي يكون في العمود المسنن الحامل للمكبس ويتحرك بواسطة مسنن اصغر منه ويحرك المسنن الصغير بواسطة منجنيق (المناويلا) وعند العصر ينزل الزيت في معصرة (جوره) مقصورة بالشيد أوحفرة في الصخر ان تصادف وجود الصخر في المكان المخصص لتلك الحفرة .

كان الزيت قديما يوضع في جرار سعة الجرة من ٥و٢٢ كغم الى ٣٠ كغم الى ٣٣ كغم تسمى الواحدة منها (كحف) وبعض الناس كانوا يضعونه في آبار وذلك عندما يكون المحصول كثيرا ولا يزال بعض الناس حتى يومنا هذا يضع محصوله لكثرته في آبار كما يوضع في براميل تتسع لـ (٧٠ رطلا) وأخرى كبيرة تتسع (١٣٠) والزيت في هذه الايام افضل من الماضي وذلك ليسرة وجود المعاصر الحديثة حيث يتم عصر الزيتون بعد قطفه بمدة قصيرة بعكس الماضي فقد كان الزيتون يوضع على بعضه البعض مدة طويله مما يجعله يتعفن وتكثر نسبة حموضة الزيت ، وتسمى المادة المتبقية من جراء عصر الزيتون بالجفت وله استعمالات عديدة حيث يستعمل كوقود ايام البرد في الشتاء ويستعمله القرويون للطوابين وكذلك يباع للشركات حيث يعاد عصره ويستعمل ما يخرج منه في صناعات كثيرة كما وتقوم على عجم حب زيتون صناعة المسابح حيثتستعمل لاغراض دينية لقداسة الزيتون .

صناعة الزيتون

يصنع من حب الزيتون الرصيص من الزيتون

الاخضر وكذلك المملوح من الزيتون الاسود والكامر حيث يؤخذ من الزيتون بعد وضعه على بعضه البعض مدة طويلة او يوضع الحب الاسود من الزيتون داخل الجفت في كيس نايلون كما ويصنع من زيته الصابون ومن خشبه التحف والصلبان والجمال وأشياء اخرى حيث يقبل الناس على شرائها نظرا لقدسية الزيتون

كما ويستعمل خشب الزيتون كوقود وخاصة عند القرويين حيث يستعمل لاغراض الطبيخ وتسخين الماء للغسيل على الموقد (ثلاثة حجارة على شكل مثلث) وللتدفئة أيام الشتاء .

فبالاضافة الى صناعة الصابون من الزيت واستعماله لاغراض الأكل والطبخ فان له استعمالات أخرى منها طبية (١) حيث كان الزيت يملأ قارورة صموئيل عندمامسح أول ملك على اسرائيل (٢) واكتسب درجة في القدسيه بحيث لايزال يستخدم حتى يومنا هذا في مسح جبهة المشرف على الموت .

كما ويستعمله القرويون على شكل لزقة توضع على صدر المريض عند النزلات وذلك بوضع خرقه من القماش في زيت ساخن ثم تفرد وتوضع مكان الالم ويستعمل الزيت كملين للمعده ومنظف للكلي من الرمل ولاذابة الحصو لاحتواء الزيت على حوامض ولـه نتائج طيبة في هذا المجال .

ويستعمل كذلك في عملية التجبير وكمصفف للشعر وكغذ لبصيلات الشعر وقد كان يستعمل قديما للانارة بواسطة مسارج فخارية حيث إستعمله الاقدمون وكان وسيلتهم الوحيدة للانارة .

مثلما كان عماد حياتهم حيث لا تقدم وجبة من طعام الا ويكون الزيت احداصنافها.

الزيت والزيتون في الأمثال الشعبية:—

— «الزيت ملك العاجز» (يقصد انه لا يحتاج الى عناية كبيرة) .

— «ابعد اختي عني وخذ ثمرها مني» (لتوسيع المسافة اثناء الغرس) .

— «مثل ما بدك منها بدها منك» (اي كما تريد منها زيت تحتاج منك الى رعاية) .

— «قنبني ولاتكربني» (للدلالة على أن التقنيب اهم من الحراثة. «الجناين جنون والملك زيتون» (ان كل الاشجار لا تصلح ان تكون ملكا . كالزيتون ولا تعمر مثله (٣) .

— «سيل الزيتون من سيل كانون» (للتدليل على اهمية مطر كانون) .

— «ان دفع في آذار حضروا له الجرار» .

— «يارب ندي وسموم عند عقدك يازيتون» .

— «الزيت عماد البيت» .

(١) سفرا شعيا ١— ٦ انجيل مرقص ٦ — ١٣انجيل لوقا ١٠—٢٤ .

(٢) سفر صموئيل الأول ١٠—١ . ٣ — شجرة الزيتون ص ١٢٠ .

« الزيت مسامير المعصب » (للدلالة على فائدة الزيت للانسان عن طريق الاكل والدهن) .

« كلوا من الزيت وادهنوا به » (حديث عن النبي صلعم) .

« القمح والزيت سبعين في البيت » (دلالة على تأمين البيت من الجوع — المليسي « زيته طيب واما لقاطه بشيب » (للدلالة على زيته الطيب والمشقه من تلقيط حبه — « النبالي زيته سيال واما لقاطه عجال في عجال » (للدلالة على جودة زيته وسهولة تلقيط الحب)

« البري زيته مر » (للدلالة على رداءة هذا النوع) .

— « الزيتون ا بدك تهفيه شقه وخليه » (اذا أردت اهلاك الزيتون فاتركه بدون حراثة)

— « ان اخرج من شباط فحضروا له البطاط » (١)

« وان اخرج في آذار فحضروا له الجرار »

« وان اخرج في نيسان فحضروا له الفنجان » .

— « ايام الزيت اصبحت امسيت » (للدلالة على قصر النهار وقت القطف) .

(قدسية الزيت)

ولم يهمل الانجيل شجرة الزيتون بل أشاد بذكرها في مواضيع منها تعبير بديع يشبه الزيت بروح الله وذلك في مثل العشر (٢) عذارى الحكيمات والجاهلات ، واعتبر الزيتون البري في الانجيل واعمال الرسل كناية عن (٣) الرجل الوثني اما الزيتون الجوي فكناية عن كنيسة المسيح عليه السلام وذكر استعمال الزيت في شفاء المرض في رسالة يعقوب الرسول « امريض احد منكم فليدع شيوخ الكنيسة فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب « اصحاح » ٥ آية ١٤ وورد في انجيل مرقص (٤) مما يشعر بذلك « واخرجو شياطين كثيرة ودهنوا بزيت مرضى كثيرين تشفوهم » .

وبالنسبة للزيت في القرآن الكريم فقد ورد ذكره كما هو موجود في الاية الكريمة الآتية :

قال تعالى « الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري ...... يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور . (٥)

١ — البطاط جمع بطة وهي اكبر من الجرار

٢ — مزاميرة ٥٢ — ٨ .

٣ — متى ٢٥ — ١ — ١٣ .

٤ — مرقس ٦ : ١٣

٥ — سورة النور ٣٥ .

كما ان الله سبحانه وتعالى اقسم بشجرة الزيتون « والتين والزيتون وطور سنين » . وقد عرف العرب فضل الزيتون زمن الرسول الكريم محمد صلعم الذي دعا لشجرة الزيتون بالبركة وقال صلعم (١) « كلوا من الزيت وادهنوا به فانه فيه شفاء من سبعين داء منها الجذام . »

اساطير الزيتون

١ — التين انا كتيت الورق

الزيتون أنا قلبي احترق:

يقال بأنه عندما توفي الرسول الكريم محمد صلعم سقطت اوراق كل الاشجار حزنا عليه ما عدا شجرة الزيتون فتعجبت الاشجار من ذلك غير انها في السنة التالية سمعت صوت دوي هائل تبين بعد ذلك انه صادر من اشجار الزيتون التي انفجر قلبها ويبس من شدة الحزن ولذلك فكل زيتونة محروق وسطها تعتبر رومية ومن ذلك العهد .

واتفق ان تحدثت تينة مع جارتها الزيتونة فاظهرت التينة اسفها على وفاة الرسول فقالت انا كتيت (اسقطت) الورق فقالت لها الزيتونة أنا قلبي احترق اي ان حزنها كان اشد من حزن جميع الأشجار .

٢ — يقال انه قديما تحاورت بنت السهل مع بنت الجبل عند عقد الزيتون الذي يصادف مع ايام الفريكة للزرع فقالت بنت السهل .

« ياربي ندي ومبردا عند نفض المرودا . »

فردت عليها بنت الجبل « ياربي ندي وسموم عند عقدك يا زيتون لو ما بدور في السهل ولا طاحون . »

وعلى هذا أرجوا أن اكون قد وفقت في اعطاء القاريء الكريم فكرة عن هذا الموسم الذي هو موسم من مواسم أهلي وبلدي موسم من مواسم الخير والعطاء من أرضنا الطيبة وشجرتها المباركة وحكايتها في تراثنا الشعبي الفلسطيني حكاية طويلة تضرب جذورها في أعمق الاعماق مع شجرتنا وشعبنا .

(١) البركة في فضل السعي والحركة الحبيشي .